@ 471 @ وأشجار ، وأنهار ، وزروع ، وثمار ، ومناظر بهيجة ، ورياض أنيقة ، وأصوات شجية ، وصور مليحة ، وذهب وفضة ، وخيل وإبل ونحوها ، الجميع جعله ا زينة لهذه الدار ، فتنة واختبارا . ! 2 2 ! أي : أخلصه وأصوبه ، ومع ذلك سيجعل ا جميع هذه المذكورات ، فانية مضمحلة ، وزائلة منقضية ، وستعود الأرض ، صعيدا جرزا قد ذهبت لذاتها ، وانقطعت أنهارها ، واندرست آثارها ، وزال نعيمها ، وهذه حقيقة الدنيا ، قد جلاها ا لنا كأنها رأي عين ، وحذرنا من الاغترار بها ، ورغبنا في دار يدوم نعيمها ، ويسعد مقيمها ، كل ذلك رحمة بنا . فاغتر بزخرف الدنيا وزينتها ، من نظر إلى ظاهر الدنيا ، دون باطنها ، فصحبوا الدنيا ، صحبة البهائم ، وتمتعوا بها تمتع السولئم ، لا ينظرون في حق ربهم ، ولا يهتمون لمعرفته ، بل همهم تناول الشهوات ، من أي وجه حصلت ، وعلى أي حالة اتفقت ، فهؤلاء إذا حضر أحدهم الموت ، قلق لخراب ذاته ، وفوات لذاته ، لا لما قدمت يداه ، من التفريط والسيئات . وأما من نظر إلى باطن الدنيا ، وعلم المقصود منها ومنه ، فإنه يتناول منها ، ما يستعين به على ما خلق له ، وانتهز الفرصة في عمره الشريف ، فجعل الدنيا منزل عبور ، لا محل حبور ، وشقة سفر ، لا منزل إقامة ، فبذل جهده في معرفة ربه ، وتنفيذ أوامره ، وإحسان العمل ، فهذا بأحسن المنازل عند ا ، وهو حقيق منه بكل كرامة ونعيم ، وسرور وتكريم ، فنظر إلى باطن الدنيا ، حين نظر المغتر إلى ظاهرها ، وعمل لآخرته ، حين علم البطال لدنياه ، فشتان ما بين الفريقين ، وما أبعد الفرق بين الطائفتين ! ! ! 2 2 ! وهذا الاستفهام بمعنى النفي ، والنهي . أي : لا تظن أن قصة أصحاب الكهف ، وما جرى لهم ، غريبة على آيات ا ، وبديعة في حكمته ، وأنه لا نظير لها ، ولا مجانس لها ، بل تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ، ما هو كثير ، من جنس آياته في أصحاب الكهف ، أعظم منها ، فلم يزل ا يري عباده من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم ، ما يتبين به الحق من الباطل والهدى من الضلال ، وليس المراد بهذا النفي أن تكون قصة أصاحب الكهف من العجائب ، بل هي من آيات ا العجيبة . وإنما المراد ، أن جنسها كثير جدا ، فالوقوف معها وحدها ، في مقام العجب والاستغراب ، نقص في العلم والعقل ، بل وظيفة المؤمن ، التفكر بجميع آيات ا ، التي دعا ا العباد إلى التفكير فيها ، فإنها مفتاح الإيمان ، وطريق العلم والإيقان . وإضافتهم إلى الكهف ، الذي هو الغار في الجبل والرقيم ، أي : الكتاب الذي قد رقمت فيه أسماؤهم وقصتهم ، لملازمتهم له دهرا طويلا . ثم ذكر قصتهم مجملة ، وفصلها بعد ذلك فقال : ! 2 2 ! أي : الشباب ، ! 2 2 ! يريدون بذلك ،

التحصن والتحرز ، من فتنة قومهم ما لهم . ! 2 2 ! أي : تثبتنا بها وتحفظنا من الشر وتوفقنا للخير ! 2 2 ! أي : يسر لنا كل سبب موصل إلى الرشد ، وأصلح لنا أمر ديننا ودنيانا ، فجمعوا بين السعي والفرار من الفتنة ، إلى محل يمكن الاستخفاء فيه ، وبين تضرعهم وسؤالهم تيسير أمورهم ، وعدم اتكالهم على أنفسهم ، وعلى الخلق . فلذلك استجاب ا دعاءهم ، وقيض لهم ، ما لم يكن في حسابهم قال : ! 2 2 ! أي : أنمناهم ! 2 2 ! وهي : ثلثمائة سنة ، وتسع سنين ، وفي النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب والخوف ، وحفظ لهم من قومهم . ! 2 2 ! أي : من نومهم ! 2 2 ! أي : لنعلم أيهم أحصى لمقدار مدتهم ، كما قال تعالى : ! 2 2 ! الآية ، وفي العلم بمقدار لبثهم ، ضبط للحساب ، ومعرفة لكمال قدرة ا تعالى ، وحكمته ، ورحمته . فلو استمروا على نومهم ، لم يحصل الاطلاع على شيء من ذلك ، من قصتهم . ^ (نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى * وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إل ها لقد قلنا إذا شططا) ^ هذا شروع في تفصيل قصتهم ، وأن ا يقصها على نبيه بالحق والصدق ، الذي ما فيه شك ولا شبهة بوجه من الوجوه . ! 2 2 ! وهذا من جموع القلة ، يدل ذلك على أنهم دون العشرة ، ! 2 2 ! با وحده لا شريك له من دون قومهم ، فشكر ا لهم إيمانهم ، فزادهم هدى ، أي : بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان ، زادهم ا من الهدى ، الذي هو العلم النافع ، والعمل الصالح ، كما قال تعالى : ! 2. ! 2